الفلاح وعلاقته بالقوة العليا

بقلم: محمود الديداموني

«أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون»

صدق الله العظيم

منذ الصغر وأنا على يقين بوجود قوة تحركنا جميعًا نحو أقدارنا، هكذا تربيت.. تسير الحياة، لم يشغلني كثيرًا ما يحدث من حولي.. فهي أقدار مكتوبة.. ولابد أن يؤمن الناس بأقدارهم.. وإلا فسيعد ذلك كفرًا.

نعم، آمنت بتلك القوة الخارجة، من خلال القراءة في كتاب الله وصحيح البخاري والاستماع لإذاعة القرآن الكريم.

حتى جاءت اللحظة التي تجلت فيها تلك القوة على لحظة عايشتها: كنت قد زرعت فدانين من القطن، واخضرّ القطن، وشارف على النوار.. كان منظره غاية في الجمال.. فعلت كل ما من شأنه أن يجعله ينمو.. السماد والمبيدات.. الري بنظام دقيق... بالفعل كان كل شيء يشي بأن الأمر يسير على ما يرام..

غبت يومين فقط لظرف طارئ عن زيارة الحقل... وأثناء العودة مررت للاطمئنان.. الأخضر الذي تركته.. كأنه أوراق الذرة عند الحصاد؛ جزعت جزعًا شديدًا.. ماذا عساي أن أفعل؟

لم أَنَمْ ليلتها.. مع أول شقشقة للضوء كنت بين عيدان القطن اليابسة التي أكلها الدود.. تمرر يديك عليها.. كأنها ذر التراب!

أبي لا يزال في حيرة من الأمر.. لم نقصر في شيء.. جلسنا وسط الحقل.. الديدان تتعالى أصواتها.. كأنها تنهش في قلوبنا.. سلمنا الأمر إلى الله!

وأشار أبي أن نحرق الأرض ونجهزها لزراعة محصول آخر..

وكان القطن بالنسبة لنا-الفلاحين- في ذلك الوقت طاقة الأمل..

الفلاحون يمرون علينا نسمع مصمصة شفاههم.. ودعواتهم بأن يعوض الله علينا..

قلت لوالدي -وكلي يقين أن تلك القوة التي نؤمن بها سيكون لها القول الفصل-: أبي، سوف نرش الأرض بالمبيد.. رشة أخيرة.. نأخذ فيها بالأسباب.. قال: افعل ما

تـراه.. توجهـت بنظـري إلى السـماء ولم أنبـس ببنـت شـفة.. بينـما يـصرخ قلبـي: «يـا اللـه»..

قمـت بـرش القطـن بمبيـدٍ لا زلـت أتذكـر اسـمه حتـى الآن.. أعتقـد أنـه لم يعـد موجـودًا.. (Reldan).. سـاعة بعـد سـاعة، والأصفـر يتحـول إلى الأخـضر.. حتـى اكتـسى الحقـل بالنضـارة!!

في هـذا العـام.. كان المحصـول قياسـيًّا.. لم نعهـده مـن قبـل.. لم يتكـرر.. لكنـي أيقنـت بـأن القـوة التـي لا تضاهيهـا قـوة هـي مـن فعلـت هـذا..